تستخرج من ثناياه إنسانا اسمه شوقى يخالف الأناسى الآخرين من أبناء طبقته وجيله لأعياك العثور عليه ، ولكنك قد تجد هنالك خلقا تسميهم ماشئت من الأسماء ، وشوقى اسم واحد من سائر الأسماء .

وواضح فى هذه العبارات أن العقاد كان يردد كثيرا أن الحياة والفن على حد سواء موكلان بطلب الفرد أو النموذج الحادث ، أو موكلان بطلب الخصوص والامتياز لتعميمه وتثبيته ، وأقرب مانمثل به لذلك زارع يستنبت صنوف الثمار لينتقى منها المميز فى صفة من الصفات المطلوبة ، فإذا عثر بالثمرة الواحدة التى وصل فيها إلى غرضه قومها بعشرات الأفدنة من الثمرات الشائعة عند غيره ، لأنه بهذه الثمرة الواحدة يستأثر بالطلب والإقبال ، ويعفى على ثمرات الشيوع والعموم .

وفى هذه الفقرات نرى العقاد يعود أولا الى لفظ الصنعة ، ويقول إن شوقى ليست صناعته هابطة ، بل يجود عليه أكثر من مرة بعذوبة الأداء ، هذه العذوبة كفلت لشعره الذيوع بين الجمهور . والعذوبة ماتزال غامضة ، وقد تولى العقاد نماذج أعجبت هذا الجمهور ، وأخذ يفندها . أكبر الظن أن العقاد كان يحارب فتنة اللغة الموروثة منذ أجيال بعيدة ، فالجمهور مولع بالجرس والأداء ، ومن خلال الجرس يفتن الجمهور بصياغات أو أساليب ، ومازال الناس يتناقلون قول شوقى :

وإنما الأمم الأخـلاق مابقـيت فإن هـمو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وفى هذا البيت نرى ما ورثه الجمهور مما يسمونه فى البلاغة حذف الفضول أو اجتماع الكثير فى اللفظ القليل ، وفى البيت ، الى جانب ذلك ، التقابل بين بقيت وذهبت ، فضلا على التقابل بين ذهاب الأخلاق وذهاب الأمم ، ويستطيع المتأمل فى الوقت نفسه أن يدرك اللعب على لفظ ذهبت وذهبوا ، ومحاولة تملق حاسة معينة من خلال هذا اللعب ، كل هذه الملامح يمكن أن نسميها باسم فتنة اللغة التى حاربها العقاد ، ومن الراجح أن يكون لفظ الصنعة مرادا به مثل هذه الفتنة ، ومن الراجح أيضا أن الأستاذ العقاد رأى من الضرورى الخلاص من هذه الفتنة التى تشتبه فى عقول كثيرين بما نسمية روعة الأداء أو جمال اللفظ ، حارب العقاد بعض ملامح هذا الجمال الذى يعدو على الشعر ، بل يعدو على صحة التفكير والشعور ، جمال الألفاظ أنماط ، منها مايقبل ومنها مايرفض . وهذا ما ألح عليه الأستاذ العقاد .